

الهاتف الذكي واثره على العلاقات الأسرية (مقارنة انثروبولوجية)

العقواق حفصة

ملخص

تمثل الظاهرة التكنولوجية الجديدة اليوم واستعمالاتها الاجتماعية موضوعات سوسيولوجية تفرض نفسها اليوم مع كل التغيرات التي صاحبت هذا الاستعمال على مستوى والممارسات والسلوكات وحتى القيم وذلك بدخولها الحياة اليومية واصبحت جزءا لا يتجزأ من يوميات الفرد في كل الفضاءات والازمنة ، ولعل الهاتف المحمول من اكثر الوسائل اليومية المصاحبة للفرد والذي عرف هو الاخر تطورات منه يحل محل العديد من الوسائل التكنولوجية في وسيلة واحدة الا وهي الهاتف الذكي الذي دخل الاسرة الجزائية وغير من مستويات الممارسات والعلاقات داخلها فقد اعاد بناء العلاقات داخل الاسرة، فلم تعد هذه الاخيرة الكيان المرجعي الذي يتكا عليه الافراد لإعادة التوازن والاشباع العاطفي وانما اصبح المستعملين يستمدون هذه العاطفة من علاقات اخرى عبر الهاتف المحمول الذكي بمأنه يجمع العديد من الخدمات ومن ضمنها التواصل من خلال الصورة والصوت مع خاصية الانترنت وبذلك اصبح الفضاء البديل لانتعاش الهوية الجماعية بدل الاسرة، فقد اصبح الصمت هو سيد في الاجتماعات الاسرية التي تكون فقط بالأجساد لكن الجميع منعزل والرؤوس منحنية ومشغولة بالجهاز الصغير ومن هنا نستطيع القول بان التلاقي وجها لوجه والاشترك الاسري حلت محله علاقات افتراضية جديدة خارج مجال الاسرة فعلاقات ما بعد التكنولوجيات قد اختلست عدة ووظائف كانت مناطة للأسرة

واتجهت نحو العالم الافتراضي والذي أصبح يشكل اضافة او تعويضا اكثر ثقة واصبح واقعا اكثر من الواقع.

Abstract :

The new technological phenomenon and its social uses, represent now sociological topics that are currently required, with all the changes that have accompanied this use, at. and practices and behaviors, and even values, through the introduction to daily life, they have become part of individual's everyday life, in all times and spaces.

The mobile phone is one of the most relevant mean to the individual and it has known developments allowing it to replace several technological resources into one, which is the smart phone, that has introduced to the Algerian family and different levels of practices and relationships in this latter, and has restored the relationship in the family, it is no longer a reference entity on which individuals are based for rebalancing and emotional satisfaction, but users perceive this emotion through other relationships via the smart phone , since it encompasses many services including communication through the picture and sound with the Internet property. And it has become the alternative space to the quickening of the collective identity within the family, the silence became master in family gatherings which are only a physical presence, but everyone is isolated and heads are bent and occupied by a small tool.

From there, we can say that the face-to-face family involvement has been replaced by new virtual relationships outside the family area, this post technological relationship has stolen several functions of the family and gone to the virtual world, which has become an addition or most confident compensation , and become more real than reality.

مقدمة:

إن أساس بناء أي مجتمع يكمن في إقامة علاقات بين أفراد ذلك أن الإنسان بحاجة إلى التفاعل داخل بيئته الاجتماعية والتي تفرض عليه القيام بعملية الاتصال، فمن خلالها يكشف الفرد هذا المحيط ويتواصل ويتفاعل مع الأفراد وذلك عن طريق تبادل المعاني والرموز. لذلك فقد

أخذت عملية الاتصال الإنساني أهمية خاصة في العلوم السوسيولوجية، ومن المنظور السوسيولوجي أصبح الاتصال ظاهرة اجتماعية له خصائص تميزه فهو يعتبر ظاهرة تلقائية تتبع من التفاعل الاجتماعي التلقائي وحيث يرتبط بتغير المجتمع ويرتبط الاتصال بقواعد السلوك الفردي والجمعي، كما أن الأنشطة الاتصالية تعبر عن التماسك الاجتماعي في كافة نظمته وثقافته ومجالات الحياة السياسية والدينية والاجتماعية.

و ازدادت الحاجة الى الدراسات السوسيولوجية لظاهرة الاتصال مع بداية القرن التاسع عشر وحدثت الثورة الثالثة لتكنولوجيات الاتصال التي تميزت بظهور المخترعات السمعية البصرية الحديثة (سينما، راديو، التلفزيون) وكانت قمة الثورة في نهاية الخمسينيات مع اختراعات الفيديو: الذي مكّن الجمهور من إعادة شارات التلفزة بواسطة الكابلات التي عملت كذلك على زيادة وضوح الصوت والصورة وعدد البرامج والقنوات.¹

و مع اواخر القرن العشرين دخلت المجتمعات الإنسانية عصر القرية الكونية، والعولمة وثورة الاتصالات والمعلومات ظهرت وسائل جديدة للاتصال تولدت عن الربط بين مختلف الوسائل من تلفزة ومعلوماتية، واتصالات قصيرة المدى... وقد أدى هذا التوجه الجديد إلى تغيرات جذرية على جميع المستويات، الإنتاج، المعالجة، والتوزيع، ومنها الربط بين الهاتف والكمبيوتر والتلفزة والفيديو، وهو الأمر الذي نتجت عنه إمكانيات جديدة للاتصالات الاجتماعية، أدت في الثمانينات إلى ما نسميه بوسائل الاتصال الجديدة، والتي تمثل أساس في تطوير: الأقمار الصناعية الكوابل، الفاكس، الفيديو تكست، الأشرطة والأقراص المضغوطة، الهواتف المحمولة... وطريقة استعمال هذه الوسائل أصبحت لا تسمح بإعادة الإنتاج المتسلسل بل بالنشر الفوري للرسالة في جمهور واسع.²

وشهد النصف الثاني من القرن العشرين تقدما في مجال التكنولوجيا يعادل كل ما تحقق في قرون عديدة وتمثلت في الاندماج الذي حدث بين ظاهرتي تفجر المعلومات وثورة الاتصال ويتمثل مظهر المعلومات في استخدام الحاسوب الالكتروني في تخزين واسترجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشري في أقل وقت ممكن، أما ثورة الاتصالات الخامسة فقد تجسدت في استخدام الأقمار ونقل الأشياء والبيانات والصور بطريقة فورية³. لقد ظهر في السنوات الأخيرة ابتكارات عديدة طورت صناعة الاتصالات السلكية واللاسلكية من أبرزها:

أولاً: ظهور الحاسب الشخصي والتوسع في استخداماته إذ يستوعب كم كبير من المعلومات سواء للاستخدام الشخصي أو إمكانية الاستفادة من المعلومات التي تقدمها وشبكات المعلومات من خلال الربط بخط تلفوني معها وهو ما نسميه بخدمة الخط المباشر.

ثانياً: أدى تمازج وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية مع تكنولوجيا الحاسب الالكتروني على خلق عصر جديد حيث يتم طباعة الكلمات على شاشات التلفزيون أو وسيلة العرض المتصل بحاسب الكتروني ، حيث يقتني مستخدمو النصوص الالكترونية من المعلومات بالكمية والنوعية التي يرغبون فيها وتناسبهم.

ثالثاً: ظهور العديد من خدمات الاتصال الجديدة مثلاً: USB والأقراص المضغوطة التي يمكن أن تخزن محتويات مكتبة عملاقة على قبة مكتب صغير.

رابعاً: هناك أيضاً اختراعات جديدة غيرت من شكل التسلية المنزلية بشكل أكبر من الانقلاب الذي تم من الفوتوغراف إلى الراديو النصف الأول من القرن العشرين، ومن أمثلة ذلك التوسع في إنتاج الفيديو والأشرطة وأقراص الفيديو، مما يزيد في تحكم المشاهد في المحتوى الذي يراه، كما تطورت ألعاب

الفديو بالحاسب الالكروني واصبحت هناك امكانية في إنتاج الكتب المصغرة التي يتم تسجيلها في الأقراص المضغوطة بأسعار منخفضة للغاية.⁴

فيمكن القول عن مسببات التغير الاجتماعي انه لم تعد تكنولوجيا القرن التاسع عشر ومخترعات منتصف القرن الماضي هي المؤشر الوحيد عليه، مع بروز تقنيات حديثة في بداية الالفية الثالثة والحديث عن تغيير اجتماعي صارخ نتيجة دخول تكنولوجيا الاتصال وما افرز هذا الدخول من ظواهر على صعيد لحضنت التواصل وفورية الحدث ومآثر الشبكة الالكترونية العنكبوتية.وقد افرز التطور التكنولوجي مجالات تفاعل افتراضية جديدة لم تكن معروفة من قبل، ناجمة عن الاستحداثات التكنولوجية والتي تتمثل في وسائل الاتصال الحديثة التي حطمت الكثير من الحواجز واختصرت المسافات وحولت الواقع إلى دائرة مليئة بالمستجدات اليومية إذ أصبح هناك نمط خاص باستخدام هذه الوسائل التي دخلت حياتنا الاجتماعية وامتدت من العلاقات العامة إلى العلاقات الشخصية.

ولقد افرز التطور التكنولوجي مجالات تفاعل افتراضية جديدة لم تكن معروفة من قبل، ناجمة عن الاستحداثات التكنولوجية والتي تتمثل في وسائل الاتصال الحديثة التي حطمت الكثير من الحواجز واختصرت المسافات وحولت الواقع إلى دائرة مليئة بالمستجدات اليومية إذ أصبح هناك نمط خاص باستخدام هذه الوسائل التي دخلت حياتنا الاجتماعية، وامتدت من العلاقات العامة إلى العلاقات الشخصية، ولقد ادى التطور المتسارع لوسائل الاعلام والاتصال الى احداث ثورة حقيقية، وتغيرات جوهرية مست جميع مجالات الحياة وبدأت اثار هذه التغيرات تظهر على مستوى الجماعات والافراد، وقد ساهم في كل هذا ما بات يعرف

بشبكات التواصل الاجتماعي التي أصبحت وسيلة الاتصال المؤثرة في الحياة اليومية.

ففي السنوات الاولى التي توالى فيها اختراعات تكنولوجيا الاتصال وانتشارها على مستوى الاسواق كان هذا يأخذ عدة سنوات ليتم امتلاكها بصفة منتشرة بين افراد المجتمع لكن في السنوات الاخيرة أصبحت تكنولوجيا الاتصال الجديدة تنتشر سريعا وتقلصت المدة التي تفصل بين اختفاء وسيلة وحلول اخرى محلها في كل الفضاءات الاجتماعية بما فيها الفضاء المنزلي الذي يعتبر من اكثر الفضاءات انغلاقا اذ أصبح مفتوحا باكتساح هذه التكنولوجيات.

تهدف هذه الدراسة إلى طرح ومعالجة مشكلة بحثية دفعتنا إليها الملاحظة المستمرة والتواجد الدائم داخل وسط اسري شكلت فيه التكنولوجيات الجديدة للاتصال محورا هاما للتواصل وضرورة لابد منها في التعاملات اليومية ورفيق دائم لا يمكن الاستغناء عنه. فاستدعنا الضرورة السوسيولوجية إلى دراسة هذه الظاهرة "الجديدة" من خلال تواجدها في الوسط الاجتماعي في صورته "الميكروسوسيولوجية" وهي الأسرة والتي بدأت شيئا فشيئا تتأثر بظاهرة العولمة، ليجد الفرد الجزائري نفسه في قلب هذا التغير يؤثر فيه ويتأثر به، فهو ينتمي الى اسرة وهذه الاسرة تنتمي الى مجتمع متميز وهو المجتمع الجزائري له عاداته وقيمه ومبادئه ولكنه وكأي مجتمع يخضع هو الاخر الى تغيرات تتزامن مع ما استجد من وقائع وظواهر في كل المجالات. فاذا قارنا الاسرة القديمة والحديثة يلفت انتباهنا الاثاث المنزلي، فنجد الاسرة القديمة تعتمد في تأثيثها على اثاث تقليدي من اللوح

والخشب وغيرها، اما عند الاسرة الحديثة فهي تعتمد على احدث التكنولوجيات هذا من جهة ومن جهة اخرى ففي وقت ليس ببعيد كانت

الوسائل التكنولوجية للاتصال " التقليدية" كالهاتف الثابت مثلا تشكل وسائل اتصال اسرية جماعية عتد الاسرة " التقليدية" عادة ما تستعمل في الغرف الجماعية والتي تسمح بالاستعمال المشترك، في حين دخلت التكنولوجيات الجديدة للاتصال مجالنا المنزلي مثلا: الهاتف المحمول، اللوحة الالكترونية، الهاتف الذكي، الحاسوب الالي.... كل هذه الوسائل التي تتميز بالخصوصية والحميمية زعزعت من ذلك الشكل الجماعي الذي كان يرافق تكنولوجيات الاتصال القديمة، وتزامن هذا الانتشار الكثيف داخل الفضاء المنزلي مع المسار الذي سجلت فيه الاسرة نفسها ضمن اعادة انتاجها بما يتزامن ومعطيات الحداثة التي ادت بصفة خاصة الى ظهور الاسرة النووية، فبعد الانتشار الذي عرفه هذا النوع من التكنولوجيات وتوفر الاسعار المناسبة، وخدمات اشتراك الانترنت اصبح بإمكان اي فرد من الاسرة يملك مدخولا متواضعا الحصول عليها واصبح لكل فرد اكثر من جهاز الكتروني يقوم من خلاله باتصالاته ويبني عالمه الافتراضي الخاص به داخل البيت ويتم هذا التواصل بشكل انفرادي، وفي حالة من العزلة عن باقي افراد أسرته، وما يلفت انتباهنا هو استعمال الوسائل الجديدة للاتصال في اىصال اية رسالة مهما كان نوعها، ومع غزو السوق الجزائرية للهواتف النقالة خاصة مع ظهور مؤسسة تيليكوم الجزائر في نهاية 2007، ففي سنوات قليلة تمكن أكثر من 23 مليون جزائري من الحصول على هاتف وخط،⁵ كما لم تعرف وسيلة اتصال أخرى مثل هذا النجاح بهذه السرعة، فتوفر الشبكات وانفتاحها على مجال المنافسة وانتشار الحملات الاشهارية والسعر المناسب سهل من تواجد هذه الوسيلة حيث يوجد الفرد في الأماكن العامة (الشارع، المقاهي، وسائل النقل...) والأماكن الخاصة (أماكن العمل، داخل البيوت) وأصبحت بمتناول جميع الفئات العمرية والشرائح الاجتماعية وغيرت من أنماط المعيشة ومجموع السلوكات

والممارسات فكان الهاتف الثابت يمثل فرصة للتشارك بين أفراد الأسرة، يتقاسم من خلاله الأفراد نفس الوسيلة ونفس التجربة ونفس الوقت. وبدخول موجة الجيل الثالث في مجال الاختراعات اللاسلكية والشبكات اللاكترونية وظهر ما يسمى بـ Wifi: توسعت خدمة الانترنت وتزامن ذلك مع ظهور وسائل تكنولوجيا أخرى جديدة وجد متطورة واصبح للمستعمل اكثر من جهاز يمكنه من التواصل الدائم مع افراد او جماعات مناقشة في اي وقت ومن اي مكان .

لقد غيرت الشبكات اللاسلكية والالكترونية بالتالي من هذا واجب الاشتراك والتجمع بما أنها سمحت للأبناء بالتواصل الدائم والمستمر من غرفهم مع جماعات مناقشة فيما يتواصل الأولياء من الصالون عن طريق التكنولوجيات الجديدة لإتمام مهامهم المهنية. فكيف ان استعمال وسيلة تكنولوجيا مثل الهاتف الذكي المحمول والتي تعتبر حاضرة في الحياة اليومية للأسرة بإمكانها التأثير على العلاقات الاسرية الحقيقية على حساب العلاقات الافتراضية عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟

إن الدراسة الانثروبولوجية للهاتف المحمول أو النقال الذكي تأتي على وجه الدقة ضمن اهتمامنا بظاهرة التكنولوجيات الجديدة ومواقع التواصل الاجتماعي وما تنتجه من قيم جديدة في مجتمعنا، ونظرا لان الهاتف المحمول العادي اولا ثم الذكي ثانيا دخلا البيوت الجزائرية بنسبة لا يستهان بها، وكان لاستعمالهما علاقة مباشرة بين شخص وأخر، فان مستويات من السلوك الاجتماعي نتجت عنهما، وتحولت أجزاء منها إلى ظواهر اجتماعية، وهذا كله أعطى الدراسة أهميتها لأننا إزاء ظاهرة جديدة تطرح أسئلتها وتريد تفسيراً انثروبولوجياً لها.

المنظور الانثروبولوجي لعملية الاتصال:

لقد حدد الباحث "Dominique Wolton" مكانة ودور الاتصال من خلال ثلاثة ابعاد: البعد الانثروبولوجي الثقافي والبعد والبعد السياسي القيمي والبعد التقني الوظيفي.⁶ فاذا كانت الانترنت اليوم تعتبر " كثورة" حقيقية تعطي لولادة مجتمع جديد، فلاننا اعتقدنا بان التقنية تغير المجتمع، ولمعرفة خبايا الانترنت يجب اعادة النظر اذا كانت هناك علاقة بين ثورة التقنية وتغير النموذج الثقافي مثلاً.

فالاتصال اولا هو تجربة انثروبولوجية اساسية وهو التبادل الضروري مع الغير وبالتالي لا توجد حياة فردية او جماعية بدون اتصال ويعتبر هذا الاخير مجموع التقنيات التي كسرت كثافة اللقاءات المباشرة، ويتم عبر تكنولوجيات الاتصال، فاصبح من الممكن اليوم التبادل عبر كل اقطار الارض بالصوت والصورة والمعطيات وهذا ما سمي "الاتصال الرقمي" وامتدت هذه التسمية الى مصطلح جديد " المجتمع الرقمي" ويرتكز هذا الاخير على مصطلح الحقل السوسيو تقني كونه مصطلح اجتماعي وعلمي في نفس الوقت، يرتبط بالتغطية الكثيفة لوسائل وتكنولوجيات الاتصال التي تتمثل في الحاسوب الالي، الهاتف المحمول، آلة التصوير الرقمية، واستعمال هذه التكنولوجيات اصبح نشاطا اساسيا

واصبحت تحتل مكانة اساسية في كل فضاءات المجتمع بما فيها الفضاء المنزلي، وامتلاك الاسر للوسائل التي تعتمد على الحقول الالكترونية جعل منها تطور استعمالها وهذا الاستعمال الشخصي اثر على العلاقات الاسرية، ودراسة الحية الاسرية والاتصال يحتم علينا دراسة التطورات الحاصلة في التبادلات الاسرية في اطار التطور التكنولوجي، ففهوم الاسرة

يتكون في كونها جماعة حميمة نثقاسم احساس الانتماء والهوية ويكمل هذا الاحساس رابط العيش تحت سقف واحد وتجربة حاضر ومستقبل.

إن تكنولوجيا الاتصال لا تعتبر بعيدة عن هذه الجماعة وانما هي تنتمي الى الفضاء المعيشي الذي تنتمي اليه الاسرة ومحاولة دراسة هذه التكنولوجيات يؤدي بنا الى دراسة وفهم نظام الادوار والعلاقات والوظائف بين اعضاء الاسرة.

التكنولوجيات الجديدة للاتصال داخل المنازل الجزائرية:

تعتبر تكنولوجيات الاتصال التقليدية مثل: المذياع، التلفزيون والهاتف الثابت... أساسية في المنازل الجزائرية، والتكنولوجيات الرقمية الجديدة مثل: الهاتف المحمول، الانترنت، الحواسيب المحمولة... وغيرها هي كذلك حاضرة بقوة في المنازل وأصبحت أكثر من ضرورة، رغم وجود فرق في توفرها وهذا راجع إلى المستوى الثقافي والاقتصادي لكل أسرة.

واستعمال هذه التكنولوجيات أصبح نشاط أساسي وأصبحت تحتل مكانة أساسية داخل المنزل، وامتلاك الأسر للوسائل التي تعتمد على الحقل الالكتروني جعل منها تطور استعمالها، وهذا الاستعمال الشخصي اثر على شكل العلاقات الأسرية، فالانترنت أثرت بشكل واضح في المدة التي كان يقضيها أفراد الأسرة أمام التلفزيون.

ألغت تكنولوجيات الاتصال الحدود بين الحياة العملية والحياة الأسرية باعتبار أن هناك مهام مهنية يمكن أن تتم داخل المنزل من خلال الحاسوب أو الهاتف المحمول مثلا، كما أنها وثقت بعض الأدوار الأسرية وخلقت ادوار أخرى، وكل هذا أدى من جهة إلى التوافق وخلق في نفس الوقت بعض الصراعات داخل الأسرة المالكة للتكنولوجيات الجديدة للاتصال. لقد زاد استهلاك الأسر لتكنولوجيات الاتصال الجديدة منها:

الهاتف المحمول، الأجندة الشخصية، الحاسوب، الانترنت، كلها قل استهلاكها للتكنولوجيات التقليدية مثل: المذياع والتلفزيون والمانيطوسكوب التي كانت تربط الأسرة ببعضها البعض من خلال تقاسمها لنفس أوقات الاستمتاع بها، واصبحت الوسائل الجديدة بالعكس تربطه مع العالم الخارجي وخلقت نوعا من التغيرات في مجال الحياة المنزلية، فلم تعد الأسرة محمية من العوامل الخارجية وإنما أصبح المنزل اليوم مركزا للاتصالات الخارجية.

يحتم دراسة الحياة الأسرية والاتصال علينا دراسة التطورات الحاصلة في التبادلات الأسرية في إطار التطور التكنولوجي، ففهوم الأسرة يتمثل في كونها جماعة حميمة تتقاسم إحساس الانتماء والهوية ويكمل هذا الإحساس رابط العيش تحت سقف واحد وتجربة حاضر ومستقبل، وتكنولوجيات الاتصال لا تعتبر بعيدة عن هذه الجماعة وإنما هي تنتمي إلى الفضاء المعيشي الذي تنتمي إليه الأسرة، ومحاولة دراسة هذه التكنولوجيات يؤدي بنا إلى دراسة وفهم نظام الأدوار والعلاقات والوظائف داخل الأسرة.

لماذا الهاتف الذكي؟

يعتبر الهاتف الذكي من بين الأجهزة الالكترونية الأكثر مناسبة لكل الأعمار والشرائح الاجتماعية للإنتاج الكبير والواسع لأجهزة الهاتف المحمول الرخيصة الثمن والمتطورة في ان واحد بإمكانها أن تكون بديلا عن أجهزة الكمبيوتر الشخصية لأنها أجهزة متعددة الوسائط تنقل الصوت والرسائل النصية والصور والنغماتو الأكثر من ذلك نجد فعالية المحمول المتعدد الوسائط عندما يتوحد مع الحجم والوزن الصغير والحاجة القليلة إلى الطاقة، واثمن الرخيص، علاوة على بساطة وسهولة الاستعمال كل ذلك جعل من الممكن أن يستعمل الهاتف المحمول من قبل الأطفال، والناس

الأميين أو المعاقين والسكان المهمشين غير القادرين على التوافق مع مصطلحات الكمبيوتر. فاستخدام الهاتف المحمول يظهر التساوي بين كل الناس بصرف النظر عن العمر، والجنس والخلفية الثقافي والثروة والدخل والوضع الطبقي لهذا يتصف الهاتف المحمول بوظائف متكاملة ومعممة بدرجة كبيرة وينتشر تبني المحمول بين الناس بصرف النظر عن التعليم، والجذور الاجتماعية، فهو يسد على الأقل بعض الفجوات بين الطبقات الاجتماعية المختلفة.

و بمان الهاتف الذكي يحتوي على خدمتين في ان واحد، خدمة الاتصال من خلال الشريحة وخدمة الانترنت ويضمن بذلك المستعمل نوعين من الاتصال فيضمن لمستعمليه التواصل بنوعيه ومشاركته من يشاءون عبر خدمات التواصل الاجتماعي العديدة مثل الفيسبوك والتويتر واليوتيوب والانستغرام وغيرها المتوفرة في هواتفهم الذكي .

واستعمال الهاتف الذكي اليوم لم يبقى حكرا على فئة الشباب او المراهقين فقط داخل الاسرة وانما اصبح استعماله ينتشر شيئا فشيئا عند ربات البيوت سواء العاملات او حتى الماكثات بالبيت فمن خلال الدراسة الميدانية التي قننا بها على 15 اسرة من خلال اجراء مقابلات نصف موجهة مع كل فرد منها، بالإضافة الى عنصر الملاحظة بالمشاركة لاحظنا وسجلنا وجود نوع من التقليد والموضة في اقتناء الهواتف الذكية من قبل ربات البيوت حتى وان كن اميات فافتناءه بحذ ذاته بالنسبة لهن يعتبر مواكبة للعصر وارتقاء من حيث المستوى الثقافي وفي نفس الوقت هو معيار للمستوى الاقتصادي الذي تعيش فيه السيدة، ومن خلال هذا الامتلاك يصبح بإمكانها تلقن التواصل من خلاله عبر الانترنت سواء بمساعدة الابناء او الاخوة او في القليل من المرات الأزواج، اما هذه الفئة فهي اقل ولعا

واهتماما بالتواصل بالهاتف عبر الانترنت وظهر ذلك جليا من خلال الاستعمالات اليومية اذ يفضل فيها الازواج التكلم عبر الهاتف ويكون التواصل عبر الانترنت من خلال اجهزة اخرى ومن اكثرها الحاسوب الالي سواء داخل البيت او في مقاهي الانترنت او النوادي فمن خلال الخطابات يعتبر الحاسوب الالي الوسيلة الانسب والأكفأ للتواصل الاجتماعي عبر الانترنت. اما فئة المراهقين فقد فضلت استعمال الهاتف الذكي وذلك لخاصية ملازمته لهم اينما كانوا والحميمية التي يمتاز بها وسهولة حمله والتنقل به وهذا ما يجعل المستعمل دائما مطلعاً على واجهته الالكترونية وما يحدث فيها من مستجدات.

بناء حدود اسرية اساسها الفردانية:

تعتبر الاستعمالات المختلفة التي يقوم بها كل فرد داخل الاسرة دليل على الحدود التي يريد بناءها المستعمل ، فعند قيامنا بالاستجابات اكد الاولياء بان الهاتف المحمول يهدد بكثرة فضاءهم الاسري والذي يعتبرونه خاصا جدا، وهذا الخوف من فقدان السيطرة والرقابة على الابناء يفسر كذلك بفقدان التلاحم الاسري، فاستعمال التكنولوجيات الجديدة للاتصال ومن بينها الهاتف الذكي تمثل وسائل رمزية نستطيع من خلالها فهم وتفسير الاسرية الموجودة حاليا، فهي تساهم في فتح فضاء اجتماعي اخر عندما يستعمل كل فرد من الاسرة هاتفه الذكي للتواصل مع جماعات مناقشة خارج الاسرة ومن غرفته الخاصة، فيعطي بذلك الاحساس للوالدين بابتعاد ابناءهم عنهم وعن الفضاء الاسري.

هذا الاستعمال يساهم في تأكيد ظاهرة الفردنة داخل اسرنا بمآنه يساهم في تقليص الوقت الذي يقضيه كل افراد الاسرة مع بعضهم البعض، فوجدنا نوعا من النوستالجيا حاضرة في خطابات المستجوبين فيما يخص

الاجتماعات الاسرية التي كان يجتمع فيها الاولياء مع ابناءهم في اوقات العطل والفراغ والتي شغلتها وعوضتها تكنولوجيات الاتصال اليوم.

لقد اعاد الهاتف المحمول الذكي وغيره من التكنولوجيات الجديدة بناء العلاقات داخل الاسرة، فلم تعد هذه الاخيرة الكيان المرجعي الذي يتكا عليه الافراد لإعادة التوازن والاشباع العاطفي وانما اصبح المستعملين وخاصة فئة الشباب يستمدون هذه العاطفة من مواقع التواصل الاجتماعي التي اصبحت الفضاء البديل لانتعاش الهوية الجماعية بدل الاسرة، ونطرح هنا اشكالية الواقعي والافتراضي، فعلاقات ما قبل التكنولوجيات فقد اختلست عدة وظائف وادوار كانت مناطة للأسرة واتجهت نحو العالم الافتراضي والذي اصبح يشكل اضافة او بديلا او تعويضا اكثر ثقة وحلّ محل الواقعية الكلاسيكية التي تنتمي الى ما قبل الهاتف المحمول واصبح واقعا اكثر من الواقع، فقد عزز استعمال شبكات التواصل الاجتماعي من واقع العلاقة الافتراضية على حساب العلاقة الواقعية.

وقد اكّد عالم الاجتماع Patrice Flichy المختص بالدراسات التي تتعلق بالاستعمال الاجتماعي للتكنولوجيات الجديدة للاتصال على أنّ هذه الاخيرة عززت من الفردانية داخل البيوت "نحن مع بعض لكن مفترقين"⁷. فقد اصبح الصمت هو سيد في الاجتماعات الاسرية التي تكون فقط بالأجساد لكن الجميع منعزل والرؤوس منحنية ومشغولة بالجهاز الصغير ومن خلال ذلك يمارس كل فرد داخل الاسرة ممارسات فردية وعلاقات افتراضية من خلال الجهاز التكنولوجي الخاص به ومن هنا نستطيع القول بان التلاقي وجها لوجه والاشتراك الاسري حلّ محله المحادثات عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، بمأنها تعطي للشخص فرصة الكلام عن شيء لا يستطيع قوله مباشرة ويتم ذلك من خلال الهويات المزيفة التي يستخدمها

المستعمل وبالتالي لا تستطيع الاطراف الاخرى التعرف عليه فلا يعرفون عنه سوى اسمه المستعار، وهذا ما يجعل الكثير من الناس المنطويين يصبحون ذوي شخصيات جريئة عبر شبكات التواصل ومن هنا يصبح الاشخاص الفاشلين اجتماعيا قادرين على اعادة التواصل مع العالم الخارجي، وتوضح هذه الظاهرة جليا عند المراهقين وخاصة اذا تعلق الامر بوسيلة تكنولوجية ملازمة لهم مثل الهاتف الذكي والذي بإمكانهم لوحدهم الاطلاع عليه واستعماله دون رقابة او مشاركة الغير فهذا يجعلهم اكثر انفتاحا مطمئنين بذلك ان لا احد من افراد الاسرة يكتشف هويتهم الثانية، فالهاتف الذكي وبميزته الحميمة سواء تعلق الامر بالمكالمات العادية او عبر الانترنت يشكل وسيلة للانتقالات الممنوعة والتي تعتبر طابوهات في اسرنا في السن الذي تحس فيه الفتاة في اقامة علاقة مع الطرف الاخر، فالتواصل الافتراضي يساعد على بقاء طرفي هذه العلاقة في حالة مريحة بمأنه يسمح لهم بالتواصل الدائم والمستمر في كل زمان ومكان صوتا وصورة كما يساعد على بقاء العلاقة في الخفاء لا طول وقت ممكن.

الصورة كوجه للاندماج الاسري:

بفضل انتشار التكنولوجيات الرقمية اصبح الاستعمال الفوتوغرافي اكثر تناولا من طرف افراد المجتمع وبذلك اصبح تسجيل لحظات الحياة اكثر انتشارا حيث اصبحت الصورة اكثر تنوعا، والصورة التي تأخذ بشكل عشوائي تعتبر معبرة اكثر فالمهم هو ما يعيش وليس المكان او الفترة، فالحظات الولادة او اول دخول مدرسي للطفل مثلا اصبحت طقسا من طقوس الفوتوغرافي الاسرية.

فبتوفر الآلات الفوتوغرافية الرقمية اصبح بإمكان كل فرد من الاسرة وحتى الاطفال اخذ صورة كما ان هذه الاخيرة اصبحت بمتناول

الجميع بمأنه باستطاعة الفرد الاطلاع عليها بعد اخذها مباشرة، وبهذا اختفت المراحل الثلاث التي كانت تمر بها الصورة الفوتوغرافية التقليدية (اخذ الصورة ثم صنعها ثم استقبلها) واختفت معها المفاجأة التي كانت ترافقها. وتعتبر الممارسات الفوتوغرافية عبر المحمول بعكس الفوتوغرافيا التقليدية فخذ صورة من خلال المحمول تكون مرتبطة اساسا حول ما يدور في الوقت الحاضر بمانها تسمح برؤية الصورة في اللحظة ذاتها ولاحظنا كذلك اشتراك كبير في رؤية الصور من طرف افراد الاسرة، كما ان الصورة الفوتوغرافية في الهاتف المحمول تعبر اكثر عن الهو باعتبارها تمثل بورتريهات عن افراد الاسرة او الاصدقاء او اشياء تخص المستعمل، فهي تعكس وجهات نظر لكل ما يدور بنا، كما ان الصورة في الهاتف المحمول لا تمثل رؤية الاشياء فحسب وانما هي ايضا شكل من اشكال التواصل فيمكن ارسالها لشخص ما دون أي تعبير كتابي او رسالة قصيرة، كما ان اخذ الصورة بطريقة عشوائية تعتبر من ميزات المحمول فهي اكثر تعبير وبعيدة عن التكاليف وقرينة الى الطبيعة، كما انها تعكس لقطات او لحظات من الحياة اليومية العادية وهذا يرتبط بكون المحمول في متناول اليد يوميا وفي كل الاوقات.

وبعكس الصورة فان استعمال الفيديو في الهاتف المحمول يعتبر قليلا، لان تسجيله ياخذ مكان كبير في ذاكرة الهاتف وهذا يضطر بعض المستعملين الى حذف الفيديو بهدف ادخال معلومات اخرى، الى جانب ان بعض المستعملين يفضلون اجهزة اخرى لالتقاط الفيديو مثل الكاميرا والالة الفوتوغرافية الرقمية او الحاسوب الالي بمانها تعتبر اكثر فعالية فيما يخص التقاط وتسجيل الفيديو والاحتفاظ به. لذلك نجد ان افراد الاسرة وخاصة الشباب يفضلون الارتباط والعلاقات المبنية خارج الفضاء الغلق فكل فرد ينتج لنفسه نوعا من العلاقات الخارجية التي الغت المفهوم " القديم" للبيت

والمتمثل في الفضاء الحميمي المغلق وجعلت هذه الاتصالات الفرد وهو في بيته بل ومن غرفته الخاصة مفتوحا على علاقات خارجية فقد أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي تمثل تذكرة ترابط جديدة تركز على نوعي جديد من العلاقات اليومية التي تتجاوز قواعد السلوك الاجتماعي المتعارف عليها الى علاقات لا التزام لها شرطها الوحيد البقاء على التواصل عبر شبكة الانترنت "Rester en ligne".

حلول وتوصيات:

ان التوجه بحلول لهذه الظاهرة على مستوى اسرنا ربما يصطدم برفض مبدا تواجد التكنولوجيات الجديدة للاتصال داخل المنازل وهو الشيء الذي لا يمكن لأفراد المجتمع تقبله بمان وجود هذه الاخيرة أصبح ضرورة حتمية وساهم في حياة جديدة لا يمكن الاستغناء عنها حتى على حساب الاسرة وبمأنا نعتبر مجتمع مستهلك بالدرجة الاولى فان الظاهرة في بدايتها من الطبيعي ان تنتج هذا الخلل القائم على مستوى العلاقات في الاسرة الواحدة، حيث أصبحت الهواتف الذكية مدعاة للهروب من التعامل المباشر، والقيام بالواجبات المنزلية والتحاور بين أفراد الأسرة وإقامة العلاقات الاجتماعية، ولكن كل هذه النتائج لا تمكننا من عزل هذه الوسائل عن الاسرة وانما ايجاد طرق للتخفيف منها وذلك من خلال :

- توعية أفراد الأسرة بأهمية تنظيم الوقت (تخصيص وقت لأفراد الأسرة)، بالإضافة إلى تقديم مجموعة
- الاستخدام المعتدل للهواتف الذكية وخاصة عدم اقتناءها او استعمالها في سن مبكرة ونقصد بذلك الاطفال، ف شراء هاتف ذكي من قبل الوالدين لطفلهم هو بمثابة تأشير مبكرة للهروب الى العالم الخارجي

والاستغناء عن الاسرة في السن الذي تعتبر فيه هذه الاخيرة المرجعية
الاساسية لتكوين الشخصية

- فتح آفاق الحوار بين أفراد الأسرة من خلال تخصيص وقت يومي محدد
تجتمع فيه الأسرة بكامل أفرادها لمناقشة شؤون حياتهم اليومية، والعمل
على إغلاق كافة أنواع الهواتف الذكية داخل المنزل خلال هذه الفترة.
- لفت الانتباه إلى أهمية تنظيم الوقت، حيث لابد من توعية أفراد
الأسرة؛ كبيرهم وصغيرهم، بقيمة الوقت، وصرفه في النافع والمفيد،
ومنها التقليل من المكوث أمام أجهزة التكنولوجيا.

1-المعلوماتية: التقنيات ووسائل الاعلام, بقلم الدكتور عبد الامير الفيصل
www.almontada.com.

2 المعلوماتية: التقنيات ووسائل الاعلام, بقلم الدكتور عبد الامير
الفيصل www.almontada.com

2 André Akoun et Pierre Ansar, dictionnaire de sociologie, le robert seuil, p
93.

4 حسن عماد مكوي, تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات الدار المصرية اللبنانية
ص46-47

5-Archives le mensuel du monde arabe et de la francophonie n°247-11/2007
p2

6- Dominique Wolton ,pensée la communication, ed Flammarion, 1997,
Paris, France, P14

7 -Patrice Flichy : France 3 débat : le téléphone portable notre meilleur
Ennemie 19/06/2008